رحلة العمر
على ضوء الشموع

فى اليوم التاسع من أكتوبر ١٩٨٣ ، أضاء كاتبنا الكبير الأستاذ /توفيق الحكيم (٨٥) شمعة ، فى رحلة العمر ، التى بدأت فى مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٨ .

وهذه هى قصة تلك الشموع التى أضاءت عالمنا الأدبى والفنى والفكرى ومازالت تضيئه كالسراج الوهاج .

لقد كانت مفاجأةً العام الماضى ترشيح مفكرنا الجليل على مستوى الدولة ممثلةً فى الحكومة والهيئات العلمية والثقافية ، لنيل جائزة « نوبل » فى الأدب ، ليكون أوّل مفكر عربى ينال تلك الجائزة العالمية الكبرى ، التى تمنح لدعاة السلام وحقوق الإنسان والمثل العليا .

فالحكيم . . البقية الباقية من جيل المفكرين الرواد . . صاحب رسالة ذات أربعة وجوه ، كالهرم ، هى :

« الحق . الخير . الجمال . الحرية » .

ويعتبره النقاد – كالدكتور لويس عوض – بمثابة الجسر القائم بين ثورتى (١٩١٩) و (١٩٥٢) التى عاصر الأولى شابًّا والثانية كهلاً .

وهو رائد الرواية والمسرح العربى والفكر الحديث . خرج من معطفه أجيال

الكتّاب الروائيين والمسرحيين والمفكرين ، والزعماء السياسيين .

وخرج من خياله وفكرة أيضًا عالم حافل بالأبطال الروائيين ، الذين وهبهم الخلود فى عالم الأدب . . بجانب أبطال شكسبير وموليير وبرنارد شو وتشيكوف وإبسن .

وصانع الأبطال هذا لماذا لا نجعل منه بطلاً روائيًا فى تلك القصة التى تروى سيرة حياته ؟

إننى أروى قصة حياة توفيق الحكيم – أطال الله حياته – بطريق المونتاج الأدبى ، من واقع مؤلفاته المائة ، التى روى فيها سيرة حياته بقلمه . تارةً بطريق مباشر فى مؤلفاته الذاتية ، التى تفصح بكل وضوح وجلاء عن شخصيته الحقيقية ، مثل « يوميات نائب فى الأرياف » و « القصر المسحور » و « حمار الحكيم » و « زهرة العمر » و « تحت المصباح الأخضر » و « من البرج العاجى » و « فن الأدب » و « عدالة وفن » و « أنا وحمارى وعصايا والآخرون » و « سجن العمر » و « وثائق من كواليس الأدباء » و « تحديات سنة ٢٠٠٠ » و « توفيق الحكيم الساخر » . . !

وتارة أخرى بطريق غير مباشر ، فى أعماله الموضوعية ، التى يسقط فيها ذاته على الكثير من أبطاله الروائيين ، مثل « عودة الروح » و « عصفور من الشرق » و « راقصة المعبد » و « الرباط المقدس »

وهذه بداية الرحلة على ضوء تلك الشموع الـ (٨٥) رحلة عمر « توفيق الحكيم . . قمة الفكر العربى » .

محمد السيد شوشة